الزنبقة البيضاء

ناجي علوش

- ١ -

هَذه الزَنْبقَةُ البيضاءُ
تَدْعوني إلى النَّهْرِ
وَتُلْقيني إلى الزَّهْرِ
وَترميني إلى الطّيرِ المُسافِرْ،
وأنا أَتْرُكُ عَيْنيَّ
مَعَ الطيرِ
وأَنْشَدُّ إلى النَّهْرِ
وأُلقي في اشتعال الزَّهْرِ زَهْري.
....
آه يا زَهْرَ البراري
كَيْفَ تَنْشَدُّ إلى الرَّمْلِ.. وهَذا
النَّهْرُ يَدْعوكَ إلى البَحْرِ
وَيَجْري؟
ولماذا تَتْرُكُ الطّير يُغاويكَ
ولا تنضمّ للطير المسافرْ؟
....
إنّه الطّير يُناديك إلى بَرْقِ الوُصُولْ
فَلماذا تَحْضُن البَرْقَ
ولا تَنْضَمّ للطير المُسافِرْ؟
....
آه يا زَهْرَ البراري
آهٍ لَوْ تَسْكُنُ زَهْري
آه لَوْ تَنْهلُ من أَعْماقِ نَهري...
آه لَوْ تَعْمُر بُستانَ انتظاري..
قَبْلَ أَنْ تُطْفئَ ريحُ الغَرْبِ ناري..
آه يا زَهْرَ البراري
وَقَفْنا!
فَمَنْ يُوقفُ النَّهْرَ عَنْ لَهْفَة الجَرَيانِ
أَوْ يَصْرِفُ الطَّيرَ عَنْ صَبْوَة الطيَرانِ...
أَو يَحْرفُ الزّهر عَنْ نَشْر أَرْدانه؟..
فَفيمَ تُرانا صَفَفْنا
بَعيداً عَن النَّهْرِ هذا المساءْ؟
تُرانا وَقَفْنا
لِكَيْ يُخْفيَ الزَّهْرُ أَلْوانَهَ
عَنْ شُموع المَساءْ
لِيَنْشُرها في احتفال الضّياءْ؟
وفيمَ تُرانا وَقَفْنا
إلى جَانب الصَّخْرَة الراسخهْ؟
تُرانا انتظرنا احتفال الضيّاءْ
لِنُلْقيَ في السَّيْلِ أَغْصاننا الشائخة؟
وَقَفْنا!
فَفيمَ تُرانا وقفنا؟

- ٢ -

قُلْتُ للزنبقة البيضاءِ
هَا نَحْنُ وَقَفْنا
حينَ كان النَّهْرُ دَفّاقاً
وكانَ الماءُ يَدْعو
شَجَر السّهل إلى عُرْس الفُصولْ.
فَلماذا انْدَفَع النَّهرُ
فَخَلّيناهُ يَجْري

وَوَقَفْنا؟
وَلِماذا هَتَفَ الطَّيْرُ، فَأَصغينا
وأَصغينا طويلا..
واحتَضَنَّا جَذَلَ الطيرِ
وَلُذْنا بِجُذوعِ السنديانْ...
وارتَجَفْنا؟...
....
ثُمَّ إنّا
حينَ نَادانا وأَعْطانا مفاتيحَ الوصول
أَخَذَتْنا رِعدة البَرْقِ...
فَأصغينا إلى النّهر الذي يَهْدُر فينا
وَضَممنا البَرْقَ،
وارْتَحنا إلى شَوْقِ الوصولْ
وَتَركنا النّهر يَجْري..
في مجاريه...
وَلُذْنا بجذوع السِّنْديانْ.
....
غَيْرَ أنّا
عِنْدَما أَيْقَظَنا الطّيرُ المُسافِرْ
بهتاف النّهرِ والزّهرِ
اكتشَفْنا
أَنّنا بُحْنا بِسرّ الزَّهْرِ للطيرِ
وسرِّ النّهرِ للزّهرِ
وأخفينا عن الطّير مفاتيح الوصولْ.

ـ ٣ ـ

قَالت الزَنْبقة الزّهرية اللألاء:
للنّهر نواميسُ
وللطّير نواميسُ
وللزّهر نواميسُ
وهذا النّهر أدْرى
بدروبِ البَحْرِ مهما
اشتبكت فيها التضاريسُ
وأَخْفَتها جذوع السّنديانْ.
فَلماذا نسْأَل النَّهْر عن الدربِ
وَنَخْشَى
أَن يضيعَ الطيرُ عن عشِّ الأمانْ؟
هُو البَرْقُ
أَشعلَ زَنْبقة الفَجْرِ حَتّى
تورّدَ في أَلَق الفَجْرِ زَهْري.
هُو البَرْقُ
أَلقى عواصفه في الغُصونِ الطريَّةِ
وامتدَّ حتّى أُصولِ الأُصولْ.
هُوَ البَرْق... يطلق في رمل حقلي مدار الفصولْ.
...
فَيا نَهْرُ هذا أَوانُ السُّيولْ
ويا طيرُ بُشْراك..
هذي رياح الوصولْ.

ـ ٤ ـ

قُلْتُ للزَّنْبقَة الفَجْريَّة اللألاء:
هَا نَحْنُ اكتَشَفنا
أَننا طِرْنا مَعَ الطيرِ
وأَزْهَرْنا مَعَ الزَّهْرِ
وَفِضنا..
حينَ فاضَ النَّهْرُ في كلِّ السهولْ!...
لا تقولي:
نَحْنُ ما زلنا على بَرِّ الأمانْ.
إنّه الآنَ أوانُ الفَيَضانْ.

فلسطين/عمّان